MENOUFIYA UNIVERSITY
FACULTY OF ENGINEERING
ENG. RESEARCH BULL.
Vol. 17 Part I, 1994

PP : 275 : 291
Received at : 22 / 2 / 1994
Accepted at : 8 / 3 / 1994

الاحياء الثقافي والحفاظ على التراث المعمارى في الأردن

د/ سليم الفقيه ـ أستاذ مشارك ـ الجامعة الأردنية
د/ على الغول ـ أستاذ مساعد ـ الجامعة الاردنية

الملخص

تأثرت معظم المدن الأردنية وبسبب من الظروف والمستجدات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالزخم السكانى والنمو العمراني الحضرى ، وسنت قوانين وتشريعات لكنها افتقرت الى الشمولية فى حل المشكلات المحدثه فى البيئه العمرانية التراثية والحفاظ عليها . وقد أدى ذلك الى ضعف التواصل والانسجام وصعوبة استنباط منهجية معمارية ذات خصائص مميزه فى التعبير المعمارى لضمان استمرارية التواصل التصويرى والمستقبلى وعلى جميع المستويات .

والورقة تشير الى تميز العماره فى المناطق التراثيه الحضرية وأنها تكسب الحياه الانسانية نشاطا حيويا وقدرة على توضيح العلاقه بين العناصر المعمارية المختلفة ، وتقديم خدماتها الى المجتمع الاردنى واستمراية التواصل الحضارى فى مجال الصناعة والتكنولوجيا المناسبة المحليه منها والعالميه .

والورقة تبحث فى المعطيات الجمالية المعمارية فى البيئه العمرانية التراثيه من خلال تشكيلاتها الفراغيه وتكويناتها الكتليه والاهتمام بالعوامل البيئيه ، وتخضع فى نموها الى عوامل انسانية ثقافية واقتصادية ومعيشيه وتكوين المجتمعات ، والتى تحتاج الى عناية تطويرية وابراز خصائص التراث وأهميته الفنية والجمالية .

وتخلص الورقة الى عدة توصيات تتعلق بالبيئه العمرانية والتى تشكل دراستها وتحليلها قاعدة اغناء للفكر المعمارى وتفتح آفاقا من الادراك والاستنباط مما يوجب المحافظة عليها فى وجه المتغيرات والعوامل المؤثره واحيائها باتباع أسلوب التحديث والتطوير وحل المشكلات التى تواجهها ، وسن قوانين وتشريعات لتشجيع الأفراد والمجتمعات على الاهتمام بها وتوفير الدعم المادى والفنى والعمالة المدربه ومشاركة الرأى العام لتدارك خطر التغيير فى التراث والمحافظة عليه ورعايته .

١ـ مقدمه :ـ

المجتمع والتراث ومبدأ التوازن بين الناحيتين : الجمالية والوظيفية

ان الادراك الكامل لابعاد المشكلة التى يواجهها الأردن وضرورة اتخاذ خطوات عملية لمواجهة التحدى الحضارى تحتاج الى تطبيق ومنهجية تتوافق مع البيئة وترتبط بالتراث المعمارى .

واننا نعيش فى المركز التاريخى للعالم الاسلامى كما واننا واعون باخلاص الى حاجتنا لربط ملامح شخصيتنا كأمة الى أفضل ماقدمه التاريخ والحضارة الاسلاميين . ان خطتنا فى الوقت الحاضر هى أن نبحث عن التجديد فى عالم يسيطر عليه وبالحاح نحو التقليد الاعمى .

نحن نعى تراثنا الفنى ونعى حاجتنا الى تجسيده عمليا • ان الروائع المعمارية فى العالم الاسلامى تحتم علينا أن نسيطر على النمو المعمارى الفوضوى ، وحيثما يمكن أن نحد هذا النمو الذى هو فى أغلب الأحيان ناتج عن التردى فى الذوق الجمالى(١) •

يعرف فرانك لويد رايت العماره بأنها " الروح العظيمة الحيه والمخزون التراثى الذى تحييه الاجيال تبعا للظروف والمتغيرات الانسانية "•

وتعتمد قوة التصميم فى العمارة على تحقيق قوة العلاقة بين الفن والعماره ، وعلى توثيق الصلة بين العمارة والتراث حتى تغدو مخزونا حضاريا (١)• وفى العمارة الحديثة ، ترك العديد من المعماريين استعمال العناصر الجمالية والفنية ، وتوجهو بدلا من ذلك الى تطبيق تكنولوجيا العصر ، وتطوير أساليب البناء ، وتشييد الانشاءات الفخمة كما ونوعا وذلك تحت وطأة المتغيرات الاقتصادية الصعبة ، والمتغيرات الاجتماعية والثقافية • وأخفق البعض الاخر من هؤلاء المعماريين فى تحقيق مبدأ التوازن بين الناحيتين : الوظيفية والجمالية • كل ذلك كان له دوره فى تضاؤل المخزون المعمارى من التراث ، المخزون الذى هو المصدر تنهل منه الاجيال ، وتستلهم منه الأفكار ، وتقترح على ضوئه ـ الحلول • وأن القيم الاجتماعية والثقافية لهى قوى ذات تأثير بالغ فى احداث نقلة نوعية واحداث تغيير فى البيئة العمرانية الحضرية ، وفى طرح مفهوم الفكر المعمارى من خلال العملية التصميمية والانتاج المعمارى •

كان من تسارع العملية المعمارية والنمو العمرانى فى البيئة الحضرية فى المملكة الاردنية الهاشمية ـ بسبب من المستجدات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع ازدياد التباين فى القيم الحياتية والثقافية فى المناطق الحضرية ضعف التواصل فى النمط الاجتماعى المتناسق بين الأفراد والعائلات والمجتمع، وبالتالى أضعاف التفاعل الاجتماعى والثقافى بين الأحياء المختلفة ، وعدم توفر مقومات الانسجام فى التعبير الفكرى الحضارى وكل ذلك أدى الى صعوبة امكانية استنباط منهجية معمارية جديدة ذات خصائص مميزة لمجتمع متنام فى هذه البيئة العمرانية •

وتبرز فى تلك العمرانية ثقافه ذات ارتباط ضعيف ، فهى تفتقر الى دقة التعبير عن تطلعات طبقة من المجتمع مميزة لها أهدافها وتطلعاتها ، اذ أن هناك الفصل واضحا بين ظروف المكان التاريخية والتراث الثقافى والحضارى ، واغتراب الانسان عن الأرض بثقافته الخاصه ، وقيمة الحضارية، وحسه الانسانى ، من جهة ، وبين ماض تاريخى منفصل عن تاريخ الأرض التى نعيش عليها وتطلعاتها • ان تأهيل هذا الانتماء فى ذاته يضغط على الانسان كى يثبت وجوده عن طريق انفاق الأموال ، وبناء عمارة تتصف بالبيوت الفارهه ، واقامة انشاءات متطورة • وعلى قدر ما تتباين فيه التحولات الاجتماعية والثقافية والعمرانية ، الا أن تجمعات عمرانية حضرية لها خصائص واضحة ذات مضمون تخطيطى عفوى ونمو عمرانى عشوائى فى المدن والريف والبادية ـ أخذت طريقها الى التشكل • وسوف يقتصر البحث على تلك التجمعات العمرانية الحضرية فى المدن الاردنية الشكل (٢) (أ ، ب ، ج)•

١ـ جلالة الملك حسين بن طلال من خطابه فى افتتاح ندوة برنامج الأغاخان للعمارة الاسلامية ـ عمان ـ ١٩٨٠م•

٢ـ د/ سليم الفقية ـ اطروحة الدكتوراة ـ مقدمه الى جامعة سترائكلايد فى المملكة المتحدة ـ ١٩٨٢م ـ بعنوان " التنظيم الاسلامى وأثرة الثقافى على التشكيل الفراغى المعمارى " ص١٠ •

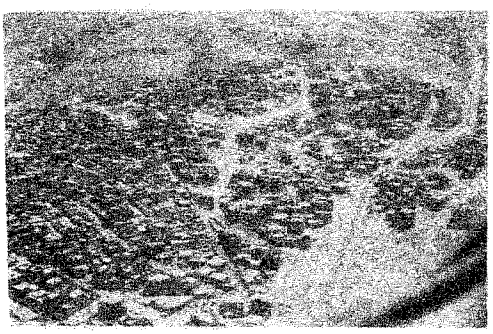

٢ـ التنمية الحديثة والتنمية العمرانية :

تأثرت معظم المدن الأردنية بالزحم السكانى والتضخم العمرانى الحضرى نتيجة عوامل الجذب الحضارى ، والذى أدى الى تغيير طبيعة تكوين البنية الحضرية والامتداد العمرانى الى الأراضى الزراعية المجاورة بقصد تجمعات سكنية جديدة ذات طابع معمارى خاص ، وتغييرات جذرية فى المقاييس التخطيطية والقيم الاجتماعية والاقتصادية ، وافتقار الخدمات بالرغم من زيادة الأعباء المالية ، وظهور شركات استثمارية عقارية * وبرؤوس أموال ضخمة ٠

لقد تركت هذه التنمية فى العمران الحضرى التطويرى بصماتها على بعض المناطق الأثرية والتاريخية والتراثية ـ ساهمت قوانين ضم الاراضى المجاورة لهذه الاماكن الأثرية الى مناطق السكن فى القضاء على ما يسمى بالنمو العشوائى الذى تسبب فى تلك المشكلة ٠ ولعل الاولويات كانت حل المشكلات الاسكانية على حساب التطوير والمحافظة على المبانى التراثية والأثرية التاريخية ٠ ان التعديات على تلك المبانى الأثرية التاريخية والتراثية وخصوصياتها ـ كما هو الحال وسط مدينتى جرش وعمان ـ والاساءة الى تلك المواقع بتغيير معالمها ، وتمرير رخص اقامة مبان تمريرا روتينيا دون تدقيق لاضفاء الشرعية على تلك التعديات ، ستزيد فى العبء الحضارى مستقبلا لمحاولة اعادة تقييم الصورة المعمارية الحضارية لهذه الامكنة ان جاز التعبير ٠ صحيح أن جهودا شاقة ومضنية وخدمات جلى قدمتها المجالس البلدية والدوائر الفنية فيها كانت وراء محاولات تحسين مستويات المعيشة فى البيئات العمرانية والى محاولات تحسين الطرق والممرات والشوارع ورفع الكفاءة الصحية فيها من اضاءة وتهوية ، الا أن القرارات المرتبطة بمثل هذه القضايا تحتاج الى النظرة الشمولية لتفادى التعقيدات المستقبلية وزيادة الكلفة التى تترتب على غياب مثل هذا المنظور العمرانى ٠ والتى تتجاوز حدود الامكانات المالية والادارية والفنية لتلك المدن الشكل (٢) ٠

---

* بلغت مساهمة الشركات العقارية فى مشاريع الاسكان ٤١ مليون دينار ـ ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨م ، وقد تضاعفت هذه المساهمات خلال الأعوام ١٩٨٨ ـ ١٩٩٣م ـ وقفزت مساهماتها من ٢٢٤٠ وحدة سكنية ١٩٨١ ـ ١٩٨٥م الى ٦٥٠٠ وحدة ١٩٨٥ ـ ١٩٩٠م ٠

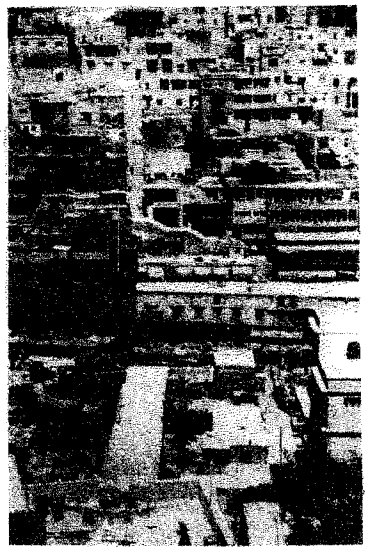

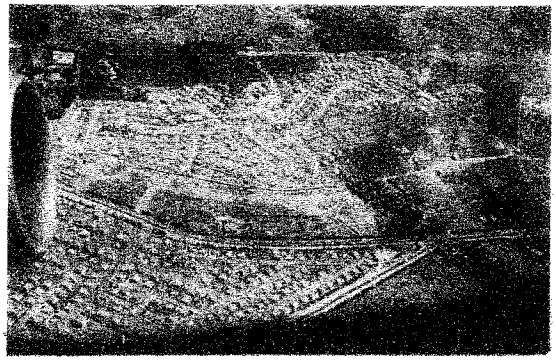

ان تغيير القوانين التنظيمية والتشريعات لم يأخذ بعين الاعتبار أثر تلك التغييرات على البيئة العمرانية التراثية والحفاظ عليها *. ولعل سيطرة العقلية التجارية ، ورفع سوية الاستثمار وفر مدخلا قويا لتحقيق أهداف هذه العقلية دون الوعي على الاثار السلبية التي تسيء الى البيئة العمرانية ، ما يؤكد الحاجة الى نشر الوعي للاسهام في سن قوانين وتشريعات تحافظ على البيئة التراثية ، أو تقوم باستثنائها من أية متغيرات محدثة ، وتطورات مستجدة ، ولعل في بعض هذه العوامل تدني مستوى الفكر المعماري لدى بعض المهندسين المعماريين ، والمنافسة غير المتوازنة بينهم والتي يحسن الولوج منها بعض المالكين والمستثمرين — مما يؤول في نهاية الأمر ليكون ضعفا في التصميم وضعفا في الدراسة المعمارية والتنفيذ ، واساءة الى فن البناء الحرفية والقيم الجمالية المرتبطة فيها ، وذلك باستعمال لغة معمارية غريبة عن البيئة التراثية وتواصلها التطويري والمستقبلي مع تغييرات مؤثرة على جميع المستويات الشكل (٣) .

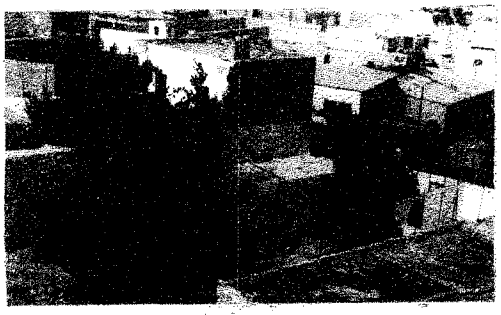

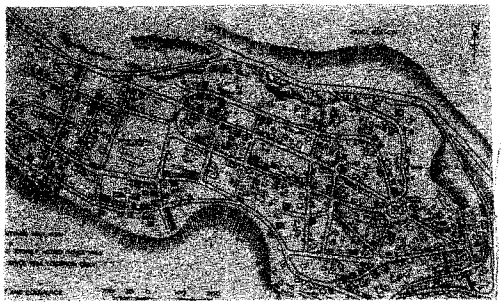

* صدر قانون تنظيم المدن والقرى ١٩٧٩ . وكان آخر التعديلات على القانون بتاريخ ١٧ / ٤ / ١٩٩٣م واضافة الطابق الرابع دون الوعي الى البعد الانساني ودون استثناء المناطق المقامة أو الاثرية .

٣ـ أثـر المتغيـرات الاجتماعيـة على التكويـن العمرانـي في المناطـق التراثيـة :

ونخص بذلك مدن جرش والسلط ومأدبا وعمان والفحيص ، حيث التجمعات الحضريـة القديمة آهلة بالسكان بنسب وكثافات متفاوته • كان يسود المناطق المجاورة لهـده المناطق الأثرية حتى القرن التاسع عشر الميلادى ما يشكل عامل خوف ورهبة وتشـاؤم لدى السكان القريبين منها (١) ، الا أن المتغيرات الاجتماعية والثقافية أدت الى الاهتمام بهذه المواقع ، وبالتالى تشكيل قناعات أساسية لدى السكان المقيمين حولها ، بأنها ـ أى الآثار ـ أقيمت على أسس استراتيجية ومصادر طبيعية ، وعوامل ايجابية • وكـان لتدفق الأجانب على زيارتها ما عزز أهميتها لدى الناس ، وعملوا بالمتاجر بها • ومن ثم أصبح الاهتمام واضحا فى اقامة أماكن لبيع العاديات الأثرية ، والصور ، والأعمـال الفولكوريـة المنتجة محليا مع الاهتمام بالحرف اليدوية والمهنية التراثية • واتجه النـاس الى العناية بتلك المناطق الأثرية بعد أن كانوا يعتدون عليها ، ويسرقون حجارتهـا وقطعها البنائية المستعملة فى عناصرها المعمارية ، ويقيمون بها مبانيهم الخاصـه الشكل (٤) •

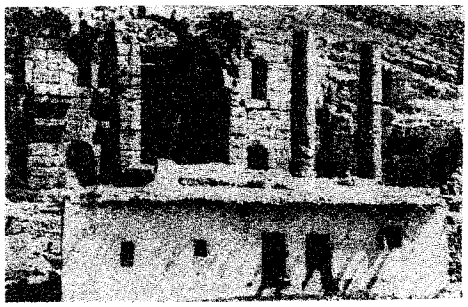

أ ـ التعدى على المناطق الأثرية منذ عام ١٩٠٨م•
ب ـ تحسين البيئة العمرانية فى المناطق الأثرية ـ مادبـا •

وأما المساكن في المناطق التراثية فكانت تهتم بالعائلة الممتدة • لذلك فقد نمـت على شكل أحواش وأفنية لتحقيق الخصوصية فيها ، كما أن الفناء الداخلى كان يشكـل متنفسا معيشيا للعائلة ، وعنصرا أساسيا في توفير الاضاءة والتهوية وتأمين الخصوصيـة للسكان • لقد كانت تعطى الحياة الانسانية والمحتشدة داخل الفراغ بعدا تشكيليـا اضافيا وذلك بفضل احتوائها على أنشطة انسانية مرئية • وان تجريد الفراغ من تلـك الأنشطة لهو تجريد(٢) ذلك ما ورد على لسان فتريفيوس فى كتاب "عمارة المـدن والبلدات " •

وكذلك يشير لويس ممفورد الى أهمية النشاط الانسانى المنظور فى تشكيل التكوينـات الفراغية وتكوين الشخصية المعمارية بقوله:

"وتتباين الأنشطة المنظورة فى البيئة العمرانية الحضرية تبعا للتطورات الحضاريـة ونوع التجمعات السكانية والمجموعات المعمارية فيها ، كما أن تباين حجم تلك التجمعات والمقياس الانسانى فيها يؤدى الى تباين فى التشكيل الفراغى داخل تلك المجموعات والكتـل المعمارية تبعا للحلول المختلفة وتناسقها ، وقدرة التصميم المعمارى على توضيح العلاقة بين العناصر المعمارية المنظورة المضادة لها أو المتوافقة معها (٣) •

١ـ د/ سليم الفقيه "سوف : دراسة معمارية فى البيئة المحلية " • منشـورات الجامعة الأردنية ١٩٨٩م ـ عمـان •

2- Spreiregen, paul. D.; "The Architecture of Towns And Cities" Mcgraw Hill, 1965. New york. p. 77.

3- Mumford, Lewis; "Roots of Contemparary American Architecture", 1956 New York. p. 66.

ان تحديد مكان الأنشطة التجارية وخدماتها فى البيئة العمرانية التراثية كان يأخذ طابعا خاصا بحيث يتناسب والمقياس الانسانى ، كما أن تلك الأنشطة كانت تحدث فى الطابق الأرضي من الكتل البنائية ، التى تشكل فى مجموعها كتلا معمارية مميزة على هيئة ميدان أو شارع بجميع عناصر وأنشطة انسانية روحانية واقتصادية أو تجارية • مثل ميدان الجامع ، أو ساحة وسط المدينة ، أو أسواق ذات أنماط مهنية ترتبط بأنشطة انسانية حضارية قديمة تراثية ، وحديثة متطورة *• (الشكل ٥) •

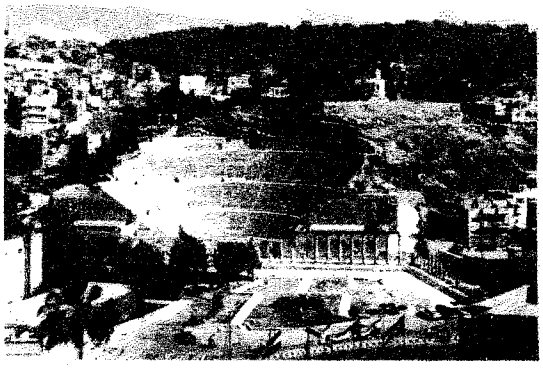

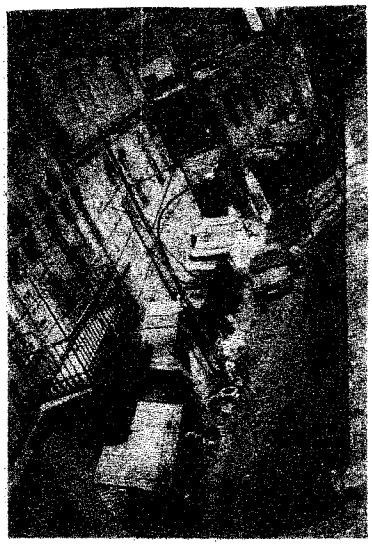

خدمات وأنشطة فى البيئة العمرانية
أ ـ المدرج الرومانى ـ عمان والبيئة المحيطة •
ب ـ شارع السوق ـ السلط •

لقد تركزت خدمات صناعية حرفية فى المناطق الحضرية التراثية أو الاثرية لتقديم خدماتها الى المجتمع الانسانى لتشكل مرآة حضارة ، وقياس تطور ، وايحاء برمز الى ما يفترض أن يرقى اليه المخزون التراثى فى المستقبل • كانت الخانات والقيساريات وأسواق صناعة النحاس والصاغ والمصنوعات الجلدية والنجارة والحدادة تعبيرا عن نشاطات انسانية متواصلة وبيئة تعليمية تتوافر لها كل المقومات التربوية وعناصر الجذب الاجتماعى فى البيئة الحضرية التراثية • أما التجمعات العمرانية الحضرية الجديدة فتنظر الى هذه المرافق على انها اعاقة مرور ، وازدحام شوارع ، وسبب للضوضاء • ومن ثم كانت النتيجة تقليص دور هذه المرافق ـ الدور الحضارى النشط دون احلال بديل يملأ الفراغ ويؤدى هذه الخدمات ، ويوفر التواصل الحضارى فى مجال الصناعة والتكنولوجيا المحلية **•

٤ـ المعطيات الجمالية والمعمارية في البيئة العمرانية :

تعبر البيئة السكنية فى المناطق التراثية عن طابع حضارى ونسق معمارى وفنى يتمثل فى دقة الصناعة والابداع الحرفى فى تشكيل واجهات المبانى منفردة ، أو تشكيلات كتلية معمارية لمجموعات مختلفة المقاييس • ان احياء وسط تلك التجمعات التراثية فى المدن ـ مجموعة قلعة عمان والمدرج الرومانى ومدينة جرش ومحيط وسط مدينة أربد ، ومأدبا ، والكرك أمثلة صارخة على ذلك تؤكد الاصالة والقيم التراثية المعمارية فى المملكة الأردنية الهاشمية • ان رعاية هذه التجمعات والمحافظة عليها وابراز خصائصها يكون من خلال تقديم حلول تطويرية صحيحة للبيئة المجاورة نتيجة التحليل والدراسة والوعى باهميتها الروحية والدينية والخدمية سواء على المستوى المحلى أو القومى أو الاقليمى ويمكن التعامل مع هذه المعطيات من خلال الاتى :ـ

---

* مثال ذلك النشاط الثقافى فى مناطق : جرش (مهرجان جرش) ، الفحيص (رواق البتراء)•

** بموجب قانون التنظيم وتخطيط المدن أنشئت المناطق الصناعية خارج حدود المدن ونقلت المرافق الصناعية اليها • وأصبحت المحلات المهنية الصغيرة غير قادرة على منافسة المصانع ذات الانتاج الكمى ، مما أدى الى ضعف التواصل فى المعرفة المهنية•

أولا : دراسة وتحليل التشكيل الفراغى المعمارى من حيث :
المتغيرات التى تتعلق بالنشاط الانسانى الفكرى والنفسى .
تحقيق القيم الاجتماعية والثقافية .
علاقة التشكيل الفراغى بالبناء، والشارع ، والامتداد الفراغى فى البيئة العمرانية المحيطة .
علاقة تلك التشكيلات بالفراغ المحيط والنشاطات الانسانية — هذا مع العلم بأن المقياس الانسانى انما هو النشاط المنظور الذى يتغير فى البيئة العمرانية وفقا للنشاطات المرافقة ، الاجتماعية منها والاقتصادى والثقافى والروحانى ، ومن ثم التعبير عن مجال التأثير الكتلى للمجموعات المعمارية الشكل (٦) .

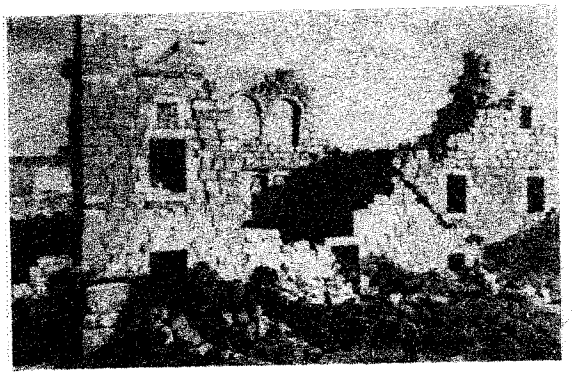

أم الجمال — الصحراء الأردنية، مثال على دقة التعبير المعمارى .

ثانيا : دراسة وتحليل التكوين الكتلى :
ان اسلوب تحقيق التكوين الكتلى فى تشكيل المجموعات المعمارية يكون نتيجة تأثير النشاط الثقافى والمتطلبات الاجتماعية والدينية ، اضافة الى تأثيرها على المقياس الانسانى ، ودرجة الاحتواء والخصوصية الشكل (٧) .

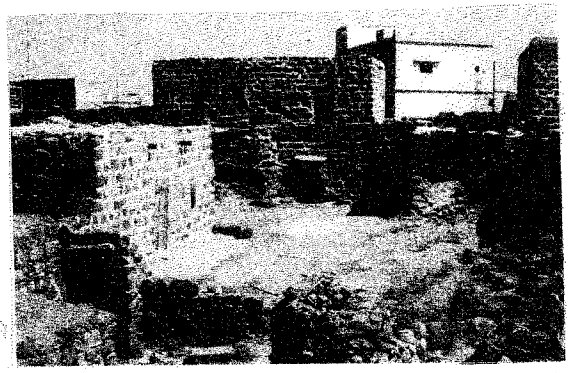

مجموعات معمارية — الصفاوى الصحراء الأردنية، مثال على درجة الاحتواء والخصوصية

ثالثا : المعالجات المعمارية : تعد المعطيات التالية من العوامل المؤثرة على تشكيل عناصر البناء :—
— استعمال المواد كالحجر أو خلافه ، ومعالجته من حيث النقش والملمس والمظهر العام .
— الاهتمام بالتفصيلات المعمارية فى الواجهات وتقسيماتها وتشكيلاتها، ونسبها الجمالية.
— الاهتمام بالخصائص البصرية للعناصر المعمارية ، ودقة تفصيلاتها ، وأثرها على الشكل العام للبناء ، وتحديد الفراغات الداخلية لابراز الشخصية المتميزة .
— الاهتمام بالانشاء مع الاستفادة من الخصائص البصرية للسقوف ، وخصائص ربط كتلة البناء مع الفراغ الكونى (السماء) اضافه الى تكوين علاقة قوية بين سقوف البناء وتكوينه الكتلى من جهة ، وبين مجموعة المبانى والعمران فى التجمعات الحضرية على مستوى الحى أو حتى على مستوى المدينة بأكملها — من جهة أخرى الشكل (٨) .

التكوين الكتلى فى وسط مدينة السلط .

رابعا : الاهتمام بالعوامل البيئية وأثرها على التكوين المعمارى والتشكيل الفراغى والاستفادة منها فى تحقيق متطلبات مفهوم المبدأ ـ التصميمى البيئى المعمارى اضافة الى القيم الاجتماعية والثقافية والروحية والاقتصادية . فما لم يتم رعاية البيئة العمرانية من على قواعد المخزون الثقافى والخضارى للتراث المعمارى وايجاد ارتباط متكامل بين الانسان الحديث النشأة من الشباب وتلك البيئة الحضارية التراثية والاهتمام بالرعاية الاجتماعية والثقافية والانسانية الضرورية لتوجيه السكان ونشاطاتهم لرعاية ذلك المخزون التراثى والثقافى الحضارى والذى يفترض أن يكون أساسا للتطوير المعاصر والتطلعات المستقبلية . ولن يمضى وقت طويل على تحليل ودراسة تلك المبانى التراثية مفردها أو على شكل مجموعات معمارية أو تجمعات حضرية حتى تزيد تلك المشكلات وتراكم تعقيداتها ويصبح نهوض تلك المدن التى تحتويها بهذه المهمة صعبا بعيد المنال ، مع العلم بأنه يفترض أن ترقى هذه المدن بمبانيها التراثية وتتمتع بميزاتها الحضارية الشكل (٩) .

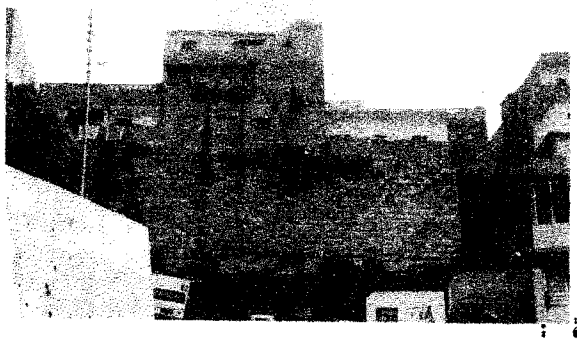

مدينة الكرك ـ والتعديات على المناطق الاثرية

٥ـ المتغيرات في البيئة العمرانية :

المتغيرات فى البيئة العمرانية هى :ـ

أولا : تطور وسائط النقل وأثرها على الكتل البنائية وتشكيلاتها العمرانية والتخطيط البيئى والعمرانى الحضرى .

أثر تطور وسائط النقل على التوسع العمرانى وعمارة السكن ونمو التجمعات العمرانية الحضرية وامتدادها ، وأدى الى استخدام اليات متطور فى صناعة الانشاءات وخدمات التجارة والثقافة والتعليم والصحة ، وأوجب فتح شوارع أكبر وأوسع للحركة بين المجاورات السكنية ، وأربك العملية التخطيطية من خلال توسع المجتمعات العمرانية الجديدة ، وطغيانها على شبكة الطرق القديمة فى احياء البيئة العمرانية التراثية . كل ذلك أدى الى اتخاذ قرارات عاجلة ومتسرعة استغل بعضها لمصالح شخصية أو تم معالجته بعقلانية توفر القيم الاساسية للحفاظ واعادة استعمال المخزون التراثى المعمارى والحضارى . وكان لبعض تلك القرارات مردود ايجابى أدى الى ابراز معالم التراث والاثار التاريخية والاستفادة منها بشكل أفضل فى مجالات السياحة والثقافة والخدمات العامه . أو كان من بعض نتائجها هدم المبانى فى التجمعات الحضرية التراثية أو التاريخية الاثرية واقامة مبان

ضخمة ومرتفعة أثرت على الرؤية البصرية والنواحي النفسية الانسانية ، وعدم مراعاة تلك المبانى المجاورة أو الملاصقة وطمسها ، اضافة الى أن تلك المبانى في عمارتها كانت معارضة للطابع المعمارى التراثى ولا تنسجم وواقع النسيج العمرانى التراثى ، ولا تتماشى والشخصية المعمارية فى البيئة التراثية الشكل (١٠) .

شبكة الطرق الحديثة
عمان وأربكات فى مستوى
الرؤية البصرية

لقد كان للتخلص من بعض الأحياء المتهاوية آثار ايجابية وتطوير لتحسين المعطيات فى المناطق التاريخية الاثرية وأبرازها ، الا أن انشاء تقاطعات مرورية طغى على العمارة المحيطة وتسبب فى ارباكات آنية ومستقبلية – على مستوى الرؤية البصرية ، أو على مستوى التغيير فى المقياس الانسانى لمدننا وقرانا الشكل (١١) .

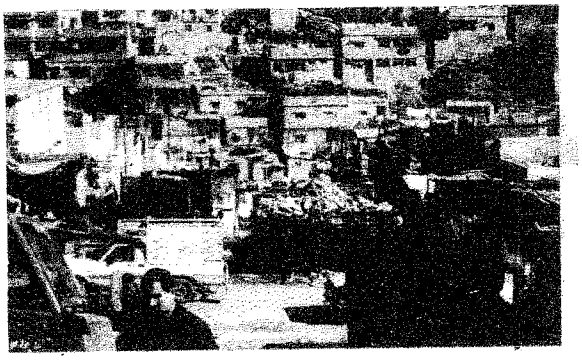

ثانيا : تطور نظم الإنشاء ومواد البناء والأساليب التكنولوجيه الحديثه :–

ان استخدام أساليب تكنولوجيه متطورة فى الانشاء ، وتطور مواد البناء ، وتقديم مواد بناء جديدة ساعد على تطور العمارة ، وكان له تأثير على التكوين الكتلى والتشكيل الفراغى للمبانى والمقياس الانسانى . بعضها راعى الطابع المعمارى والهوية المعمارية فى البيئة الحضرية وحافظ عليها . الشكل (١٢) .

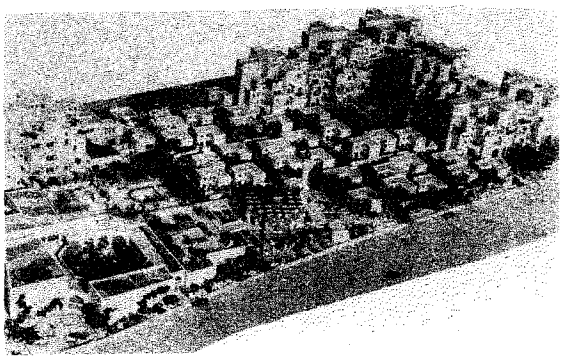

تكوينات معمارية جديدة
حي الروضة – عمان

ثالثا : شبكة الطرق والشوارع والحارات والسبل :

تميزت الطرق والشوارع فى البيئة العمرانية بكونها ثمرة الأحساس العميق لتحقيق الترابط بين العناصر المؤثرة فى تكوين البيئة العمرانية الحضرية من حيث الامتداد الفراغى الحضرى ، والنموالسكانى ، والاحساس بالفراغ ، والادراك الحسى البصرى من خلال عملية الانتقال والحركة داخل النسيج العمرانى الحضرى ، مع احترام المقياس الانسانى والحسى البيئى وادراك ضرورة العناية بارتفاعات المبانى ونسبها الى عروض الشوارع مع التدفيق فى التعامل معها من الناحية الفنية والانشائية ، واختيار المواد المناسبة ٠

خضع العديد من التجمعات الحضرية الى عوامل ومؤثرات سياسية واجتماعية فى التوجيه والتخطيط ، ولكن التركيز كان منصبا على ابراز المعالم الحضارية المؤثرة ٠ وصممت الطرق والشوارع والممرات والساحات بنسب مقبولة ومتوازنة والوضع البيئى ٠ بيد أن غياب التوقعات مكن لسرعة الانتشار والنمو العشوائى ان تقفز نوعا وكما على حساب تلك الفراغات ونسبها فى البيئة الحضرية ٠

كانت طبيعة استعمالات تلك العناصر من شوارع وطرق وأزقة وحارات مرتبطة بأوضاع اجتماعية خاصة ، فالبعض كان مخصصا لتجمعات سكنية محدودة السعة وكان السير اليها على الأقدام أو على الدواب والعربات البسيطة ٠ وباستعمال السيارات أصبح التعامل مع هذه المعطيات من الصعوبة بمكان ، ولم يعد ثمة خيارات كثيرة الشكل (١٣) ٠

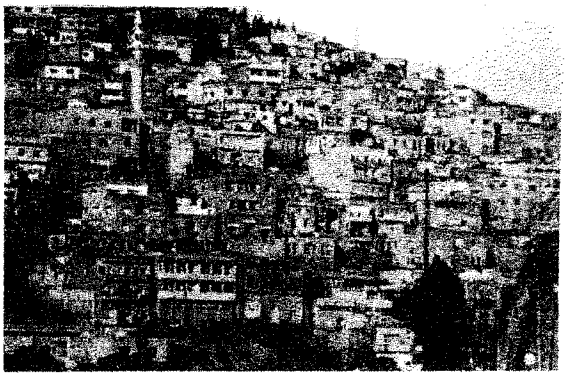

مدينة السلط ــ وطبيعة الأحياء السكنية

رابعا : المبانى العامة الاثرية والتاريخية :

يتميز الأردن بأنه أرض الفتوحات الاسلامية ومنشأ الحضارة العربية ٠ وهناك بصمات تاريخية معمارية من معالم أثرية تجسد أهمية القيم الاسلامية ٠ فالمساجد ، والقلاع ، والأسوار المحيطة بالتجمعات الحضرية والتى تشكل مراكز تنمية ساهمت بشكل فاعل فى تكوين امتداد لهذه التجمعات الحضرية فى المناطق المحيطة ٠

ان وضع تلك المعالم المعمارية الاثرية فى أطرها التراثية والثقافية يزيد من أهميتها وان الاهتمام بها لاظهارها فى صورها المتجددة اضافة الى المزيد من الدراسات المتخصصة اللازمة والتحليل والتوثيق والنشر بأساليب قليلة الكلفة ، وفى متناول الجميع حتى تتفاعل مع الثقافة العامة والشعبية وتكون مصادر استنباط وأمثلة حية للدراسين والمتخصصين لهو فى التحديات الحضارية التى ينبغى علينا أن نلبيها ٠

لقد تداخلت تلك الحضارات واستعملت الآثار السابقة فى تنمية عمارة لاحقة ٠ وعليه ، فلا بد من المتابعة والتوثيق ٠ مثال ذلك مدينة جرش الأثرية ، والمدينة الحديثة ، وفى عمان والبتراء ومأدبا وأم قيس ٠ ولعل سلسلة المساجد العمرية وأضرحة الصحابة والقصور الصحراوية والمراكز العمرانية وسلسلة القلاع والحصون ودور الادارة والمراكز الحكومية ــ تقدم الدليل الواضح على ضمان استمرارية وتواصل تلك الحضارات ٠ الشكل (١٤) ٠

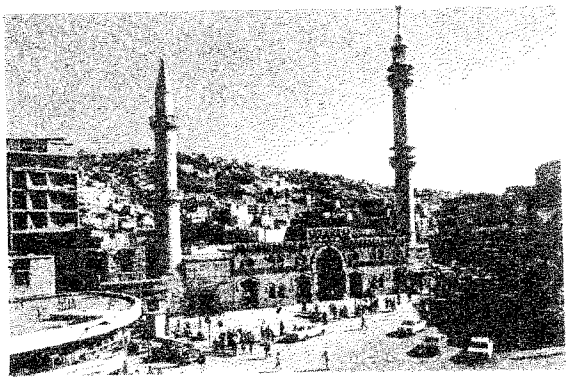

تنمية العمران في وسط
مدينة عمـان

تطورت الاحتياجات العمرانية الى المباني العامة حديثا لاحتواء التنظيمات الاداريـة وتوسعاتها التطويرية والتي اقتضتها التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياحيـة والمالية والأمن ، وأقيمت العديد من المباني الادارية والحكومية والدولية والبنوك والفنادق ، والوزارات وادارة الشركات العامه والخاصة ، والمساجد والمدارس والجامعات والكليـات والمستشفيات ، وذلك نتيجة للتوسع الافقي والرأسي في تقديم الخدمات لأعداد متنامية من السكان • استخدمت في تلك المباني تصميمات تمت دراستها على أسس المسابقات المعمارية، فكان التميز وكان الاختيار الأفضل حيث أخذ بقضايا الدراسة والتحليل والفكر المعمـاري والتذوق الجمالي على سلم الأولويات ، وقد أغنى ذلك الانتاج المعماري المراكز الحضريـة في المدن الأردنية عموما ، وفي عمان العاصمة خاصة الشكل (١٥) •

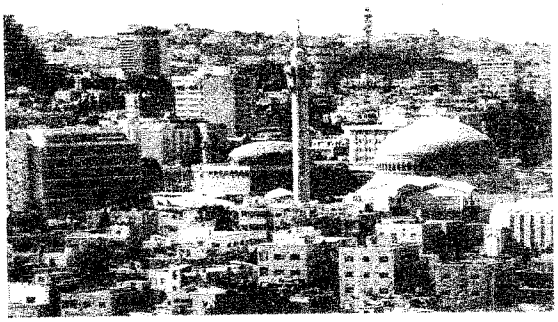

خامسا : البيئة العمرانية السكنية :

السكن في البيئة العمرانية الحضرية يتمثل في نمو احياء سكنية حضرية متكاملة علـى شكل تكوينات كتلية تغطي في مجموعها معظم مساحة البيئة العمرانية • كما أنها تفـرز مناطق اكتظاظ بالمباني ، وكثافة سكانية عالية ، وتبلورت فيها ملامح الشخصية المعماريـة المحلية ، وتباينت فيها المباني المنفردة من حيث خصائصها التصميمية المعمارية ، وطرحت فيها أفكار وحلول منها ما وجد العناية الكافية والاهتمام من حيث الدراسة والتحليـل والتصميم والانشاء واستعمالات المواد ، واختيار العناصر الجمالية وابداع يعكس منهجيـة معمارية واضحة لمهندسين معماريين وبصمات واضحة لبنائين حاذقين ، تتفاوت تطلعاتهم وامكاناتهم* •

مثال ذلك : مباني البيوت ، والقصور ، والعمارات ، لقد استخدم الحجر في بناء معظم هذه البيوت وفي المناطق الحضرية الأفضل حالا من حيث الدخل • ولكن كثيرا مـا استعملت مواد أخرى مثل الطوب ، والدكة الخرسانية • ومن الجدير بالملاحظـة أن استعمال الحجر لعب دورا هاما في استمرارية احتفاظ هذه المباني بحالتها الجيـدة، واستمرارية أدائها المعماري ، ودقة الصناعة التي تعبر عن فكر معماري أصيل كما تشيـر الى حاضر واع على التطور ، والى مستقبل حضاري يستند الى مرجعية تراثية حضاريـة معمارية وقيم جماليـة •

*تبلغ المساحة التي تغطيها المناطق السكنية ما نسبته ٢٥٪ من مجموع مساحة الأراضـي التي يشملها التنظيم •

تنحصر ارتفاعات تلك المباني في دور أو دورين أو ثلاثه وحتى أربعة ، مما يشير الى دقة المقياس الانساني ، والاحساس بأهمية التفاعل بين الانسان وبيئته العمرانية ، وادراكة البصري ، واحساسه بالفراغ والامتداد الفراغي السكني ، وتنسيق المواقع ، وتنظيم حركة المرور للانسان ومقتنياته ٠

ان تلك الكثافات البنائية المتفاوته في جسم النسيج الحضري في المدينة الأردنية المتباعدة حينا ، والمتراصه حينا اخر ، تنمو وتخضع في نموها الى عوامل متعددة ومؤثرات متغيرة تعتمد على معايير ذات أبعاد متجددة ٠

أولا : التكوينات الجيوفيزيائية لتلك المدن من حيث أوديتها ، وسهولها ، وجبالها ٠٠٠
ثانيا : مصادر الحياه ، ووجود فرص العمل الطبيعية كالزراعة والمياة ٠٠٠
ثالثا : مصادر المعيشة مثل الأسواق أو الخدمات ٠٠٠
رابعا : امكانيات التنقل وتوفر وسائل المواصلات أو النقل ، أو سهولة الحركة بوجود المرافق وخدمات الطرق والشوارع ٠
خامسا : النواحي الاجتماعية ، وتكوين المجتمعات التي تنتمي الى مناطق جغرافية واحدة، أو الشعور بالحماية والرعاية من المجتمعات القوية المجاورة ٠
سادسا : التمتع بالاجواء الطبيعية اللطيفة والنواحي الصحية ٠٠٠

٠ تعكس هذه المباني في بيئتها الحضرية صورا حضارية بدءا من اختيار الموقع ، وملاءمة التصميم للمحتوى البيئي ، وتشكيلاته الفراغية ، وتكوينه الكتلي ، واختيار العناصر المعمارية والمؤثرات الجمالية واستعمال العناصر البيئية من خلال مبان تعكس تراثا حضاريا ، وتعبر عن ثروة من التراث الفني والثقافي ٠

فقد تمكن البناؤون والفنانون والحرفيون اظهار قدرة في انتاج عمارة سكنية في تكوينات منفردة ، أو مجموعات متميزة تناسب الاستعمال المعيشي والبيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للسكان ، استمدت قوتها من خلال تنظيم انشاء بسيطة ، ومواد محلية ، وتكنولوجيا مناسبة ٠ وقد استطاع بعض المعماريين — من خلال تصميماتها تطوير العلاقة التشكيلية للفراغات الداخلية الى مستويات فيها تكامل واضح لاستعمال الانارة ، والتهوية الطبيعية ، واستخدام الفتحات المناسبة ذات تأثيرات نفسية مريحة ، وهي في مجموعها تشكل قاعدة لاغناء الفكر المعماري ، وتفتح آفاقا من الادراك،والاستنباط مما يحوج الى المحافظة عليه ، واحيائه ٠

ان ماكان يعتبر من المعوقات حينا ، أصبح ميزة في كثير من الأحيان ولعل عوامل أخرى أخذت أبعادا جديدة مثل توجيهات التخطيط البيئي والعمراني وتوافر قطع الأراضي المخصصة لاقامة الأبنية عليها ، واعتماد الناحية الاقتصادية ، وتوفر الامكانيات المادية أصلا ، والقدرة المالية على اقتناء السيارة ، أو دفع تكاليف النقل أو اقامة القصور ، انتشار الأمن والاستقرار ٠ ولم يعد هناك شروط توفير الحماية والوقاية، كما أن تطور الوسائل التكنولوجية لاعمال التدفئة والتكييف ساعدت على عدم الاهتمام بالأسس التصميمية البيئية ، اضافة الى انتشار خدمات الطاقة والاتصالات على نطاق واسع الشكل (١٦) ٠

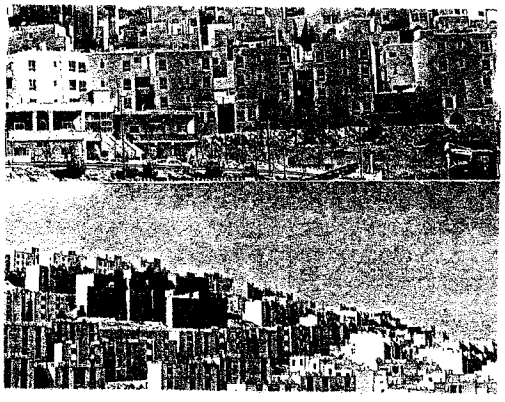

سادسا : الخلاصـــــــــة :

ان المخزون الثقافي في الأردن يرقى في الفكر المعماري والانساني الى المستـــــوى القطري والعالمي في طبيعة الحدث التاريخي • فلنأخذ مثالا على ذلك :
سلسلة القصور الصحراوية • هي في طبيعتها مراكز حضارية واجتماعية واقتصادية • وأمـا القلاع والحصون فهي شواهد حضارية ومعمارية ذات رمزية تاريخية ومؤشرات على الوجـود الحضاري العربي الاسلامي ، ونتاج ثقافي معماري وتراثي لتكنولوجيا انشاء معاصـرة ، ومواد مستعملة • وتزخر المراكز الحضرية في المدن الاردنية : عمان والسلط ومادبـــا والكرك وأربد وجرش والفحيص بنتاج حضاري معماري يوناني وبيزنطي وروماني واسلامـي ، وتحتوي عناصر ذات رمزية متفوقة لها أهميتها الدينية والروحية والتاريخية والانسانيـــة • ومنها ما هو فريد في منهجيته ومحتواه الابداعي الجمالي والفني كالبتراء ، وفسيفساء مأدبا التي جعلت الاردن مدرسة هذا الفن على نطاق عالمي * • الشكل (١٧) •

شارع طلال ١٩٥٨

وسط مدينة عمان ١٩٩٣

* أنشئت مدرسة الفسيفساء في مدينة مادبا ـ في منطقة صياغة ويجرى تأهيل الفنييـن وارسال البعثات الى ايطاليا منذ عام ١٩٩٠م•

تعرض الوضع الحالي للتراث الحضاري المعماري في الأردن والبلاد العربية بعامة الى سوء ادارة وعوامل أخرى مختلفة • لقد كان تخلف الوعي الاجتماعي والاقتصادي والتنظيمي والاداري والفني علاوة على غياب المشاركة الشعبية الجماعية – وراء غياب التطوير للتجمعات العمرانية ، أو الحفاظ على التراث من منظور أنه مخزون حضاري عالمي •

تحتاج العناية التطويرية والحفاظ على التراث المعماري في المدينة الأردنية الى مقومات تكنولوجية وتنظيمية ومادية لتحسين البيئة العمرانية الحضرية – بدأ من العملية التصميمية والتخطيط ومرورا بالانسان صاحب العلاقة مع رفع سوية الأفراد والتجمعات في مضمار التطوير الاجتماعي النفسي • اذ لا يخفى أن المحافظة على التراث المعماري الحضري ، وصيانته ، واعادة استعمال تلك المباني أو المجموعات العمرانية الحضارية يتطلب التغلب على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والمالية التي طغت على مشكلات الحفاظ ورعاية التراث المعماري ، وقللت من وعي المواطنين على حجم هذا التراث وأهميته والثروة الفنية والتقنية والجمالية التي يزخر بها • لقد تسبب ذلك في فقدان القيم الحضارية والتقليل من أهميتها ، واساءة استعمالها حينا ، والسعي الى تدميرها أحيانا أخرى • فقد انتشرت فكرة التقدم العصري في أنماط معيشية لا تتناسب وماضيها الحضاري وواقعها البيئي ، وانما تجري وراء الكسب المادي ، مما أفقد التراث المعماري الحضاري أهميته •

يضاف الى ذلك حقيقة أن تكوين نظرة شمولية للرفع من المستوى العام في البيئة التراثية العمرانية والثقافية هو في حد ذاته باهظ التكاليف مما ترك لذوي الامكانات المصرفية والمادية حرية توجيه الحل باتجاه التخلص من تلك المباني والمجموعات المعمارية أو الضغط عليها لصالح مشاريع استثمارية تحت اسم التطوير والحداثة دون محاولة تقديم حلول أفضل ، أو بدائل أوفق (وسط عمان ، والسلط نموذجان على ذلك) •

لقد تأثرت البيئة الحضرية نتيجة المتغيرات المتسارعة من خلال التقدم التكنولوجي في المجالات العلمية والحضارية المختلفة وخصوصا في مجال العمارة ومواد البناء الحديثة والمتطورة واستخداماتها أو في تطبيق نظم انشاء متطورة تبعا للمعطيات الاقتصادية ، والدخل والتنظيم الاداري والتخطيط التطوري ، وظهر ذلك في عمارة البيئة الحضرية الجديدة والتجمعات الحضرية المتنامية ، وأثر ذلك على التغيير في التجمعات الحضرية التراثية أو الأثرية التاريخية مما يفرض الحاجة الماسة الى التعامل مع التراث المعماري الحضاري ، والمخزون التراثي الثقافي من خلال تخطيط واضح تطويري ومستقبلي للمحافظة على التواصل بين حاضرنا العمراني والنمو الحضاري مع الاستفادة من التراث في مجالات استثمارية اقتصادية أو ثقافية يتبلور من خلالها أثر هذا التقدم التكنولوجي المعاصر (الشكل ١٨) •

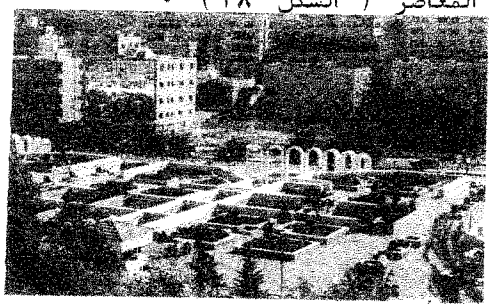

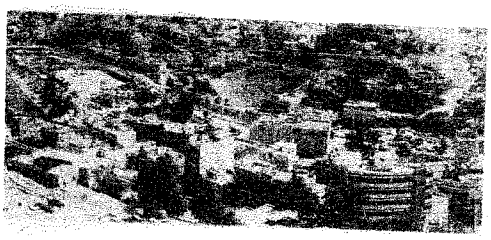

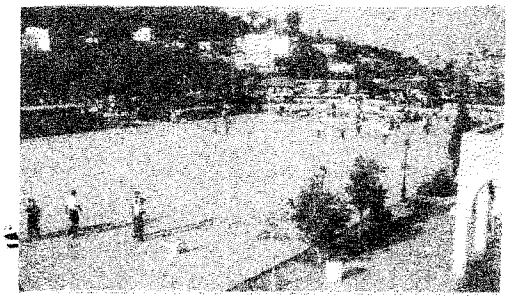

٧ـ التوصيات والاقتراحات :

يمكن الخروج ـ بعد هذا العرض عن البيئة العمرانية الحضرية التراثية والاثرية التاريخية ـ بتوصيات واقتراحات تمكننا من توفير العناية والرعاية التطويرية ، ووضع خطة وبرنامج عمل ، يوفر المناخ الملائم لاتخاذ اجراءات ادارية وتكنولوجية وخبرة لازمه وعمالة مدربة ماهرة تقربنا من معرفية علوم المواد ومصادر التمويل والتنظيم الاستثمارية العقلانية ، والتصدى للمتغيرات على التراث المعمارى ـ وبخاصة السلبية منها سواء أكانت هذه المتغيرات السلبية اجتماعية أو اقتصادية أو مالية ، واستثمار ذلك كلة فى خدمة التراث المعمارى ورعايته ٠

فللحفاظ على المناطق الاثرية والتاريخية والابقاء على الثروة الحضارية فى وجه المتغيرات والعوامل المؤثرة ، والابقاء على البعد الانسانى والادارك الحسى والنفسى المخبوء ، وذكريات الحدث التاريخى ، والوضع الامثل فى البيئة الجغرافية والطبيعية ، ومن خلال القيم الحضارية والفنية والمعمارية ، ينبغى لنا ترميزها وتصنيفها وحمايتها من التعديات وذلك عن طريق :ـ

١ـ التحديث والتطوير وحل المشكلات الاسكانيه ، اضافه الى تحديد ارتفاعات الكتل البنائية المحاوره وامتداداتها وأبعادها عن تلك المواقع حتى لا تطغى عليها وحصر المبانى أو المجموعات المعمارية فى التجمعات الحضرية والمناطق التى لها صفة التراثية فى المدن ٠

٢ـ وضع القوانين والتشريعات للحفاظ عليها وعلى طابعها المعمارى المميز تشجيع الأفراد والمجتمعات ومساعدتها على ترميم الايل منها الى السقوط والتوقف عن اللجوء الى احداث التغييرات باسم التطور والتحديث وتوسيع الشوارع واستعمالات الطرق على حساب التراث المعمارى ٠

٣ـ القيام بدراسات استطلاعية مكثفة لتحديد احتياجات تلك المبانى المهمه وتثبيتها بالرسومات بعد ترخيصها وتسجيلها وبيان درجة أهميتها ٠ عمل دراسات تحليلية للفراغ المعمارى والتكوين الكتلى لتلك المجموعات المعمارية أو المبانى أو التجمعات السكنية ، وتسلسل الفراغات الحضرية بينها ، وخصائصها البصرية ، واستخلاص الدروس والنظريات واستخدامها عند وضع الدراسات التطويرية المستقبلية ٠

٤ـ توفير المال اللازم لتشجيع مشروعات الرعاية والحفاظ على التراث علما بأن هذه المشروعات عالية الكلفة وقد تنوء به ميزانيات دون عنية ٠

٥ـ تشجيع صيانة العمارة التراثية ورعايتها واعادة استعمالها واستثمارها اقتصاديا وسياحيا وثقافيا ٠

٦ـ توفير عمالة حرفية مدربة على أعمال الحفاظ على التراث ، وخبرة فنية ومعرفية فى المواد المستخدمة بطريقة علمية وتكنولوجية متكاملة ٠

٧ـ تشجيع مشاركة الرأى العام فى ابداء الرأى بمشاريع التنظيم والتجديد ، والاسكان ، والتطوير ، من خلال ندوات عامه تحد من الضرر ، وتؤدى الى استنباط الضوابط اللازمه لتدارك خطر التغيير المتواصل فى البيئه العمرانية الحضرية ٠

وبالتعاون من خلال هيئات ومؤسسات عامه تهتم بالتراث المعمارى ٠ احياء فكرة لجنة الابنية الحديثة والتراث المعمارى ، واتخاذ الخطوات العملية الكفيلة بمواجهة التحدى الحضارى ، وربطه بالتراث المعمارى العربى الاسلامى ومضمونه المتميز ٠

قائمة المراجع

1- Bacon, Edmond: "Design of Cites" Thames and Hudson, London 1974 .

2- Hacker M. Jane: "Modern Amman: a social study" Dept. of Goegraphy, Univ. of Durham, 1960 .

3- Mumford L.: "Roots of Contemporary American Architecture, "New York 1956 .

4- Spreiregen paul D: "The Architectural Towns and Cities", Mcgraw Hill 1965 New York .

٥- د/ سليم الفقيه: " التنظيم الاسلامى وأثره الثقافى على التشكيل الفراغى المعمارى" رسالة دكتوراه ، جامعة ستراثكلايد ، جلاسكو - ١٩٨٢م.

٦- د/ محمود الاكيابى والدكتور/ كامل عبد الناصر أحمد : " دراسات معمارية وتخطيطية لتحسين البيئة السكنية ". المؤتمر العام الثامن لمنطقة المدن العربية - النمو العمرانى الحضرى فى المدينة العربية (المشاكل والحلول) . - الرياض - ١٩٨٦م.

٧- د/ محمد عبد اللطيف : " دراسة تحليلية لبعض العوامل المؤثرة فى تكوين المجموعات المعمارية" - جامعة أسيوط - ١٩٧٧م.

"Revival and Conservation of the Architectural Heritage in Jordan"

ABSTRACT:

Since 1920 Jordan has witnessed change and development. Within the last thirty years the physical environment of most of towns, villages and cities, in the country side as well as the urban areas of Badia has been subject to major inversible changes.

It looks like that it is impossible to bring urban growth to a halt or prevent development. Such develpment and change endanger the country's past, contemporary civilization and future evolution that rest on its "Cultural Heritage". These cultural achievements were the products of the spiritual values and traditions of the people. They are essential elements in their personality. The issue of conservation and revival of cultural heritage will contribute directly to people's well being which depends on the existence of a favorable and stimulating environment.

The paper will look into many structures having historical and artistic impotence which are threatened by works resulting from urbanization development. The merged socio-economic changes need understanding that conservation and revival constitute a major contribution to meet these developments.

The paper will conclude with the process of conservation and revival efforts and development care and measure for Jordan. It will include into an action programme to ensure the availability of the required directional, technical and adequate expertise, materials, and science, finance and organization, when overriding socio-economic conditions require cultural heritage be changed, transformed or destroyed.